الجمعة 3/8/2012 16/رمضان/1433 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعون النووية

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه

عن أبي حمزةَ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، خادمِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**))، [رواه البخاريُّ ومسلمٌ].

لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة أخذ أهل المدينة يُتْحِفُوْنَ النبي صلى الله عليه وسلم بهدايا فأتت والدة سيِّدِنا أنس فقالت: يا رسول الله خُويدمك أنس، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يبارك الله في عمره وذريته وماله، فعمَّر أنس بن مالك ما يزيد عن مئة عام، حتى كان آخر صحابي مات في البصرة، سنة 93 للهجرة.

رأى سيدنا أنس من أولاده وأولاد أولاده.

وبارك له في رزقه فكان لا يتاجر تجارة إلا ويربح بها.

خطر مرة في بال سيدنا أنس أن يشتري رطباً من الشام ويبيعها في مكة والمدينة ففي ذاك العام تلف موسم التمر والرطب في المدينة فباع تمره ورطبه بثمن عال في المدينة.

وكانت تحمل ثمار المدينة مرة في السنة وبستان أنس بن مالك يحمل مرتين ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم.

كان لسيدنا أنس تلميذ ملازم له اسمه **ثابت البناني** فكان كلما دخل شيخه أنس يقوم له ويقبل يده ويقول له: أعطني يدك أُقبِّلُها، يداً خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنوات.

يريد أن يتبارك بهذه اليد التي مست النبي صلى الله عليه وسلم.

ثابت له تلميذ أيضا اسمه حماد كان حماد كلما دخل شيخه ثابت يقول له: أعطني يدك أقبلها يداً مست يداً خدمت رسول الله عشر سنوات.

هناك رواية لهذا الحديث تقول: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) [مسلم].

وفي رواية: ((لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ)).

[أبو يعلى وابن حبان].

لو قرأنا لما وجدت ديناً يحب الجماعة، ويحب أن يتحاب الناس، وأن يترابطوا مثل الإسلام.

فهو دين يكره الفرقة وينفر منها، اقرأ القرآن من أوله إلى آخره من سورة الفاتحة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذه النون هي نون الجماعة.

هل سمعت أن أحداً يصلي فيقرأ إياك أعبد؟ ما حكم صلاته؟ صلاته باطلة.

﴿اهْدِنَا﴾ وهي أيضاً لفظ للجماعة وهكذا تقرأ سيرة الجماعة حتى تصل لآخر القرآن إلى سورة الناس فتقرأ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وهي أيضاً جماعة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ... وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:** ((أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ))، [الترمذي].

أفشوا السلام: أي لا تتعادوا ولا تتقاتلوا.

أطعموا الطعام: جماعة.

وكان آخر أخر: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ:** ((الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ))، **فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ.**

[ابن ماجه].

ملكت أيمانكم: الخدم التي تملكونها، وهم جماعة.

فكما نرى الدين كله يدعوا إلى الجماعة.

الثقافة الغربية التي تستوردها الآن بعيدة عن الدين وهي ثقافة الأنا.

تجد حتى على مستوى الأكل هناك وجبات فردية، فكل منا يأتي بوجبة لنفسه.

وثقافة الأنا هذه تربية تبقى مع الإنسان حتى تمكنه من أن يبيد شعباً مقابل أن يبقى هو.

أما ثقافة الإسلام: قال محمد إقبال: (**المسلم لا يقول أنا عندما يكون فرداً، ولكن يقول أنا عندما يصبح أمة.**

فالإسلام يربي الطفل على الجماعة فتراه يدعوه لبر الوالدين وهذا جماعة فيقوي العلاقة الأسرية.

شاب عمره أربعين سنة لديه معمل حلويات يصدرها إلى أكثر من دولة أوربية، فقلت في نفسي: هذا الشاب له سر، فالتقيت به، وإذ به بار بأبيه براً شديداً فقال لي: أبي أصيب بمرض في المجاري البولية، فاحتاج إلى قثطرة بولية، ففكرت -ولا علاقة لي لا بالطب- من الذي سيضع لأبي هذه القثطرة؟ هل يعقل أن أترك رجلاً غريباً يفعل هذه العمل؟ بل سأقوم أنا بالتمريض فدخلت دورة لتعلم ذلك، فصرت أضعها لأبي بنفسي، قال لي: أحيانا أكون جالس في المعمل أو المحل فيتصلون بي ليقولوا: أن والدك منزعج من القثطرة ويريد تبديلها، فأقول: حاضر، فأغلق المحل وأذهب لتبديلها.

قال لي: مرة كان عندي موعد مع سفير من بلد أوربي، ويمكن أن أفتح عنده خط في العمل، فقبل الموعد بنصف ساعة اتصلوا بي من أجل تبديل القثطرة، فكنت بالخيار إما أن أذهب إلى السفير ويفتح خط عمل تجاري كبير، وإما أن أذهب إلى أبي. فاتصلت بالسفير واعتذرت منه؛ لأن والدي بحاجة لي.

لقيته من شهرين فقال لي: أصبح تصديري إلى عشرين دولة أوربية.

فإذا كبر الطفل قليلاً يعلمه الإسلام رعاية الزوجة والأولاد ثم الجيران ثم رعاية الأرحام.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَ وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ قَالَ: ((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ))**، [الإمام أحمد].

حتى ولو قطعك الأقارب فالإسلام يقول لك صِلْهُمْ حتى ولو على حساب نفسك.

الجماعة إذا وصلت إليه عَدَّها الإسلام كمال الإيمان. **((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))**.

أحياناً أحدنا يكون باراً بوالديه وهو كاره، ويقول: ليس باليد حيلة، ولكن بالمقابل غيره يحب هذا البر ويتفنن به فهذا درجته أعلى من ذاك.

أحدهم يحسن للجوار وهو كاره، وآخر يبر جاره وهو يحب أن يبره.

أحدهم يكرم ضيفه وهو كاره، وآخر يكرمه بتفنن، فيقول: أنا أتلذذ بلقمة أشتهيها لو وُضعت في فم غيري.

تحدث لي أحدهم -وهو مريض لا يستطيع أن يأكل كل شيء- فقال: كنت موجوداً في مطعم فشاهدت على طاولة تقابلني رجلاً يأكل بِنَهَمٍ، ففرحت له لأنه يستطيع أن يأكل، فمن فرحي به ناديت النادل وقلت له: هذا الرجل الذي يجلس على تلك الطاولة حسابه سأدفعه، ولما انتهى الرجل من الطعام أراد أن يدفع الحساب، فقيل له: دُفع الحساب، فقال: من دفع عني؟! فقيل له: ذاك الرجل، فنظر إلي واقترب مني، وعرَّفني على نفسه، ثم قال: أتعرفني حتى دفعت عني؟ قلت: لا.. قال: لم دفعت عني؟! قلت: من سروري؛ لأنك تأكل بِنَهَم.

يصل الإنسان لحالة يصبح فيها يحب للآخرين ما يحب لنفسه, فالإسلام جعل هذا مرتبة شرط ليكتمل الإيمان.

قال العلماء: **ليس معنى كلمة لا يؤمن أي يكفر، بل لا يكون كامل الإيمان من لا يحب للآخرين ما يحب لنفسه.**

كتاب سنن أبو داود وهو من الكتب الستة المعتمدة عند علماء الحديث، يقول مصنفه الإمام أبو داود: أحفظ خمسمائة حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخترت لكم في كتاب السنن أربعة آلاف حديث، ويكفي للمسلم منه أربعة أحاديث:

أحد هؤلاء الأربعة هذا الحديث: ((**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**)).

وهو من جوامع الكلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت تعددت حروفه وكثرت معانيه.

فمن يبع سلعة يجب أن يحبها لنفسه ويأخذها لبيته، وإذا كانت السلعة فيها عيب، يبعهم إياها بسعر أقل؛ لأن الإسلام طلب منك أن تخبر أخاك المسلم بهذا، لأنك تحب له ما تحب لنفسك.

إذا كتمت العيب وقعت في إثم؛ لأنك غررت بأخيك، والإسلام جعل لأخيك حقاً في الإرجاع سماه خيار العيب؛ لأنه إذا ذهب إلى بيته فاكتشف عيباً لوجب عليك ردها دون مبرر أو عذر.

الطلاق في الإسلام يقوي أواصر المجتمع ويعزز أطراف الأسرة بشكل كبير، كالزواج تماماً.

رجلٌ طلق امرأة هل يجوز له أن يأخذها إلى المحاكم مع أبيها وأمها وأخواتها؟ لا يجوز بالشرع؛ لأنه ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)).

امرأة طلقت من زوجها هل يجوز لها أن تسيء إليه بكلام ناقص وتشيع عليه الفواحش بين الناس؟ لا يجوز لها ذلك.

خرجت مرة من تحكيم طلاق وأنا أدعو للمرأة المطلقة ولزوجها من فرحي وسروري بانضباطهم في مسألة الطلاق، فعندما وصلنا للحقوق قلت له: كم المقدم والمؤخر قال:كذا، قلت: أعطيتها شيئاً؟ قال: لا، قلت لها: كم تريدين؟ قالت: أنا أريد كل حقي، (مثلاً ثلاثمائة ألف ليرة سورية) قالت: أريد ثلاثمائة ليرة سورية، قلت: أنت كم تريد أن تعطيها؟ قال: أريد أن أعطيها مئة وخمسون ألف ليرة.

تفكرت بعد سماعي للقصة من الأطراف. ثم أشرت عليهم أن تتنازل الزوجة عن 75 ألف، وأن يدفع 75 ألف إضافي عما يريد دفعه فيكون المجموع 225 ألف فقبلا بذلك.

قلت: كيف ستكون إجراءات المحكمة؟ قال: أستاذ لا أريد أن أزعجها في النزول إلى المحاكم، فسأوكل محامي، وهي تعطيه الوكالة وما يترتب من مصاريف للمحكمة فأنا المسؤول عنها.

فض الشراكة بين الشريكين لا تعني عداوة وقهر وإساءة.

كنا في خصومة أحدهم قال لي: سأمسحه عن الأرض، هذه كلمة يخشى أن تكون كفراً، فالله عز وجل أوجده على الأرض، وأنت تريد أن تمسحه.

إذا أحس أحدنا بأنه لا يطيق أن يرى خصمه، وإذا ما رآه فَسَيُكِنُّ له كل الحقد والأذى فما الذي سيفعله ليكون كامل الإيمان؟ أنت بحاجة إلى:

1- الإكثار من ذكر الله:

لأن هذا الحديث دليل على سلامة الصدر، فإن انزعجت لخير أصاب أخاك فهذا دليل أحقاد، وران، وحقد، وحسد داخل هذا القلب.

2- لزوم مجالس العلم:

حتى يمسح هذا الغل ويسلم صدرك، فسلامة الصدر سبب في دخول الجنة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**يَا بُنَيَّ إن قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وتُمْسِيَ ولَيسَ فِيْ قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَل**))، **ثم قال**: ((**يا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِيْ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِيْ، وَمَنْ أَحْيَانِيْ كَانَ مَعِيَ فِيَ الجَنَّةْ**))، [الترمذي].

قال بعض الصالحين: **أهل المحبة لله نظروا بنور الله، وعطفوا على أهل معاصي الله.**

فإذا عصى أحدهم مقتوا أعماله لكنهم عطفوا عليه.

إذا رأيت أحدهم يعصي فاكره عمله، لكن اعطف عليه خوفاً من محاسبه الله عز وجل.

قال الصالحون: **المنسوبون لجانب الله ينبغي مراعاة نسبتهم.**

مثلاً: جارك عنده ولد يزعجك فتراه يكتب على الأدراج ويقرع الباب ويهرب، فهذا الولد عليك أن تراعيه إكراماً لأبيه.

فالصالحون يكرمون عباد الله إكراماً لله تعالى، فأنت تكرم الله بإيصال الخير للمؤمنين.

كان سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما –وهو حبر وبحر هذه الأمة– يقول: (**إني لأَمُرُّ على الآية بكتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم**).

مهما أكثرنا من ذكر الله تعالى، ومن مجالس العلم والعمل بهذا العلم، فنحن نقترب أكثر من كمال الإيمان.

والحمد لله رب العالمين.